

علم الاجتماع في الوطن العربي بين إشكاليات التأسيس ومعوقات التطور

Sociology in the Arab World Between Problems of Establishment and Obstacles to Evolution

دحدوح ليلية^{1*}، معدن شريفة²

¹ جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)، dahdouhlilia@univ-oeb.dz

² جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)، maadenchrifa@univ-oeb.dz

تاريخ النشر: 2025-12-31

تاريخ القبول: 2025-12-06

تاريخ الاستلام: 2025-08-21

ملخص: تأسس علم الاجتماع في العالم الغربي منذ أكثر من مائة سنة، ساهم فيها بمختلف فروع ومجالاته في فهم الواقع الاجتماعي الغربي فهما علميا يستند الى دراسات ونظريات علمية، مستمدة من طبيعة مجتمعهم بعاداته ومعتقداته، فتطور بشكل كبير مواكبا مختلف مراحل التطور والتغير الحاصلة في المجتمعات الغربية اليوم، فأصبح من أهم العلوم في العصر الحديث نظرا لأهميته في تفسير الواقع الحاضر واستشراف المستقبل، والمساهمة في التخطيط الاستراتيجي الاجتماعي وحتى السياسي والاقتصادي. وفي الوقت ذاته لا يزال علم الاجتماع في الوطن العربي يخضع للعديد من القيود المعرفية والمنهجية وحتى السياسية والثقافية، ولم يتمكن من فهم واستيعاب مشكلات المجتمع العربي، وعليه سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على واقع علم الاجتماع في الوطن العربي وظروف نشأته ومعوقات تطوره في العالم العربي.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع ؛ الوطن العربي ؛ العالم الغربي ؛ المعوقات.

Abstract: Sociology was established in the Western world more than a hundred years ago, in which it contributed in its various branches and fields in understanding the Western social reality in a scientific understanding based on scientific studies and theories, derived from the nature of their society with its customs and beliefs, and developed significantly in line with the various stages of development and change occurring in Western societies today, becoming one of the most important sciences in the modern era due to its importance in explaining the present reality and anticipating the future, and contributing to social and even political and economic strategic planning. At the same time, sociology in the Arab world is still subject to many epistemological, methodological, political and cultural constraints, and has not been able to understand and internalize the issues of Arab society, so we will try through this research paper to shed light on the reality of sociology in the Arab world and the conditions of its emergence and the obstacles to its development in the Arab world..

Keywords: Sociology; Arab world; Western world; obstacles.

*المؤلف المراسل.

1- مقدمة

يُعدّ علم الاجتماع أحد العلوم الإنسانية التي سعت إلى فهم المجتمع فهما علميا وتحليل ظواهره، حيث نشأ علماً في جذوره الأكاديمية نشأة أوروبية وتبلور في سياق المجتمع الغربي لمعالجة مشكلاته وقضاياها، ونتيجة لتغيرات ثورية درامية عنيفة في البيئة الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية للمجتمعات الأوروبية في القرنين السادس والسابع عشر من الثورة الاقتصادية، والثورة الفكرية، والثورة السياسية، وكانت معظم الأنشطة الفكرية والنظريات السوسيولوجية الكبرى وليدة أزمات سياسية واقتصادية سادت المجتمعات الغربية. حيث ساعدت في بروزه في المجتمعات الغربية جملة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فنشأ كحقل معرفي جديد في المرحلة ما بين 18 و19 بفضل إسهامات الرواد الأوائل لعلم الاجتماع أمثال " أوجست كونت " و " إيميل دوركايم"، " ماكس فيبر " و " هربرت سبنسر " وغيرهم، ساهموا في وضع الأسس النظرية والمنهجية لهذا العلم واعطائه الطابع العلمي الأكاديمي. ويشهد علم الاجتماع تطوراً كبيراً في العالم الغربي، خاصة مع تطور النظريات والدراسات العلمية في مجاله، وكذا تطور فروعه، وساهم بشكل كبير في المعالجة والدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية تستند إلى مناهج علمية دقيقة بشكل علمي ومنهجي.

وفي المقابل لقد كان حضور علم الاجتماع في الوطن العربي محدوداً في بداياته، في سياق مختلف تماماً، نتيجة الاحتكاك بالفكر الغربي عبر الاستعمار والحركات الثقافية، ولم ينبع في البداية من حاجات المجتمع العربي نفسه، مما جعل عملية تكيفه مع الواقع المحلي صعبة ومتعثرة. وبغض النظر على ما قدمه العلامة " ابن خلدون" من إسهامات بالغة الأهمية في طرحه للعرمان البشري، والذي كان يمثل مشروعا لعلم الاجتماع بمنهجه وفروعه والتي تتماشى وواقع المجتمع العربي، والذي لاق تأييدا من أبرز علماء الاجتماع الغربيين على رأسهم عالم الاجتماع الأمريكي "تالكوت بارسونز" إلا أنه انشغل الرواد الأوائل من علماء الاجتماع العرب بنقل الأفكار والنظريات الغربية، خاصة الفرنسية منها، إلى المكتبة العربية، متأثرين بالفكر الفرنسي والمدرسة الدوركايمية، حيث ركزوا على ترجمة المؤلفات الأوروبية الغربية وتبني أفكارها دون تمحيص كافٍ لمدى ملائمتها مع الخصوصيات الاجتماعية والثقافية للعالم العربي. وقد أدى ذلك إلى ضعف القدرة على بناء علم اجتماع عربي مستقل، يعالج الظواهر المحلية بآليات تحليلية أصيلة تستجيب لتحديات المجتمع العربي، الذي يختلف في بنيته وتاريخه عن المجتمعات الأوروبية التي نشأ فيها هذا العلم. وقد ساهم هذا التوجه في إبطاء تطور علم الاجتماع العربي نتيجة الهيمنة الاستعمارية على الحياة الفكرية ومحاولات طمس الهوية الثقافية واللغوية أدى الى تضيق مجال التطوير العلمي وضعف الاهتمام الرسمي بالدراسات الاجتماعية، إلى جانب ضعف الدعم المؤسسي وتأخر إنشاء الأقسام الأكاديمية المتخصصة في الجامعات العربية، وحتى بعد الاستقلالات السياسية، ظلّ هذا العلم أسير النماذج الغربية، مع غياب محاولات جادة لصياغة نظريات ومناهج ميدانية متجذرة في الواقع العربي. غير أن الجهود العلمية في مصر ودول المشرق العربي أسست تدريجيا للبذور الأكاديمية لهذا العلم، في حين بقي المغرب العربي خاضعا للمدارس الفكرية الفرنسية والاعتماد على الدراسات الكولونيالية لخدمة مصالح الاحتلال. ولا يزال علم الاجتماع في الوطن العربي يواجه قيودا معرفية ومنهجية وسياسية تحد من قدرته على تحليل مشكلات المجتمع العربي وتحقيق استقلالية فكرية.

2- علم الاجتماع في الوطن العربي

1.2- التأسيس الأكاديمي لعلم الاجتماع في الوطن العربي:

ظهر علم الاجتماع في العالم العربي في مرحلة تاريخية كانت خلالها أجزاء من الوطن العربي خاضعة للاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي. وقد عملت القوى الاستعمارية على تقسيم المجتمع العربي إلى أقطار منفصلة، وإعادة تشكيل النظم التعليمية والثقافية بما يخدم مصالحها، حيث سعت إلى تهيمش اللغة العربية وإحلال اللغات الأجنبية محلها في التعليم.

كما وُظف البحث الاجتماعي في تلك الفترة لخدمة أهداف الاستعمار، على نحو غير مسبوق في تاريخ العلوم. وبرزت أسماء لعدد من الباحثين الغربيين في ميدان علم الاجتماع والأنثروبولوجيا من بينهم "سلجمان"، و"إيفانز بريتشارد"، و"إيان كومسون جاكوبس"، و"ديل الكمان"، و"بول ريدش". وعلى الصعيد العربي تأخر العالم العربي في التعرف على علم الاجتماع، حيث كانت مصر السبّاقة في إرساء دعائم هذا العلم داخل جامعاتها، تلتها كل من العراق وسوريا ولبنان. أما الجزائر فقد ظل علم الاجتماع مقتصرًا على دراسات كلونيلية أنجزها باحثون فرنسيون إبّان فترة الاستعمار الفرنسي. (حجازي، 2010، ص 14)

وتفاوتت نشأة أقسام علم الاجتماع في الوطن العربي من حيث فترة ظهورها ودرجة استقلاليتها. ففي المشرق العربي وتحديدًا في مصر تأسس علم الاجتماع على يد باحثين محليين متأثرين بالثقافات الغربية. ويتفق معظم الدارسين على أنّ الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت عام 1798 شكّلت محطة فارقة في هذا المسار إذ اصطحبت عددًا كبيرًا من العلماء الذين عملوا على دراسة المجتمع المصري من جهة والتعرف على خصائصه وتحليل مكوناته، ونقل المعارف والعلوم الحديثة إليه من جهة أخرى، مما أسهم في إحداث تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية عميقة. وبدأت الدراسات الاجتماعية الحديثة في مصر مع تأسيس الجامعة المصرية عام 1908 حيث أُلقيت أولى المحاضرات في علم الاجتماع بكلية الآداب. وقد مثّلت الفترة الممتدة بين 1924-1934 مرحلة انتقال نحو "علم الاجتماع العلمي" بفعل التأثير الغربي والاحتكاك بالباحثين الأوروبيين. وأنشئ أول قسم مستقل لعلم الاجتماع 1925-1930 بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة)، غير أنه أعيد دمج مع قسم الفلسفة سنة 1956، كما تأسس معهد الخدمة الاجتماعية عام 1936، ليتطور فيما بعد إلى كلية للخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان. وقد شغل أول كرسي أستاذية في علم الاجتماع أساتذة غربيون أبرزهم الأنثروبولوجي البريطاني راد كليف براون الذي حاضر في معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا، الذي كان فرع تابع للفلسفة قبل أن يستقل سنة 1956، ليعود لاحقًا إليها تحت مسمى قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية. (مهورياشة، 2016، ص 13)

وشهدت مصر آنذاك انتشار أفكار الفلسفة الوضعية، والمدرسة الفرنسية في علم الاجتماع، والمدرسة الأنثروبولوجية البريطانية، إلى جانب الأفكار التحررية السائدة في الغرب. وقد كان هذا المناخ الفكري انعكاسًا مباشرًا للهيمنة الثقافية الأوروبية، أكثر من كونه نتاجًا لتطور داخلي مستقل. وقد أنجزت أول أطروحة دكتوراه عربية في مجال علم الاجتماع سنة 1913 حول وضعية المرأة في الإسلام بإشراف ليفي برويل، وأعدّها الباحث منصور فهمي. وفي سنة 1918 ناقش طه حسين أطروحته للدكتوراه بعنوان الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون، وذلك تحت إشراف أستاذه المستشرق الفرنسي سيلفان بوجليه، وهو ما عكس استمرار الارتهان الفكري للنماذج الأوروبية. ومن خلال هذه الأطروحات تعرّف العرب مبكرًا على علم الاجتماع، وخاصة الفكر الدوركايمي الذي

كان في أوج تأثيره. مما جعل البدايات السوسيولوجية العربية أقرب إلى استنساخ النماذج الأوروبية منها إلى إنتاج معرفي محلي أصيل.

ومن بين المؤلفات المبكرة التي تناولت موضوع علم الاجتماع في العالم العربي، يذكر كتاب اللبناني نيقولا حداد بعنوان علم الاجتماع صدر سنة 1925، والذي يُعد من أولى المحاولات العربية في هذا المجال. غير أنَّ معظم الأعمال اللاحقة اتسمت بارتباطها الوثيق بالمؤسسات الأكاديمية الفرنسية، مما يعكس استمرار التبعية الفكرية للغرب. وفي مصر فقد حصل المصري عبد الواحد وافي على الدكتوراه من فرنسا سنة 1931 بأطروحته حول النظرية الاجتماعية في الرق- الفرق بين رق الرجل ورق المرأة -، كما نال السوري كاظم الداغستاني الدكتوراه من جامعة فرنسا سنة 1932 برسالته دراسة اجتماعية للأسر المعاصرة في سوريا. وفي السياق ذاته نشر السوري خالد شتيلا بحثاً في الأنثروبولوجيا بعنوان الزواج عند المسلمين في سوريا بفرنسا سنة 1934، في حين حصل السوري مارسيل عيسى على الدكتوراه في باريس سنة 1946 عن أطروحته نظرية سبنسر في الدين ومصادرها. وتكشف هذه النماذج المبكرة أنَّ تشكّل السوسيولوجيا العربية لم يكن في بداياته نتاجاً لاستقلال علمي محلي، بقدر ما كان انعكاساً للمرجعيات الأكاديمية الغربية، وخاصة الفرنسية، التي وجهت موضوعات البحث ومناهجها. (عبد المعطي، 1981، ص 169).

وأما في العراق فقد أنشئ قسم علم الاجتماع كقسم مستقل مع مطلع الخمسينيات ضمن كلية الآداب بجامعة بغداد، وكان يضم فرعين أحدهما للخدمة الاجتماعية والآخر للأنثروبولوجيا. ثم توسعت التجربة بإنشاء قسم علم الاجتماع في جامعة صلاح الدين، أعقبه تأسيس قسم للخدمة الاجتماعية في جامعة الموصل سنة 1975، ثم قسم مماثل في جامعة القادسية سنة 1989. وفي سوريا أنشئ قسم علم الاجتماع في كلية الآداب بجامعة دمشق في أواخر الأربعينيات، وفي الفترة نفسها تأسس قسم علم الاجتماع في الجامعة الأمريكية ببيروت - لبنان. أما في اليمن فقد أنشئت أقسام علم الاجتماع في جامعتي عدن وصنعاء سنة 1970، بينما تأخر ظهور هذا التخصص في الأردن إلى السبعينيات وما بعدها. وفي منطقة الخليج العربي تشير فتحي ثريا إلى أنَّ نشأة علم الاجتماع هناك كانت متأخرة نسبياً مقارنة ببقية الدول العربية، إذ لم يبدأ تدريس هذا العلم والبحوث المرتبطة به إلا في الثمانينيات، بل وربما في التسعينيات. وقد تولى تدريسه في هذه المرحلة أساتذة محليون إلى جانب أساتذة متعاونين من دول غربية، غير أنَّ طبيعة المواد المقدّمة كانت ذات مرجعية غربية بالأساس. كما تؤكد الباحثة أنَّ الجامعات العربية في الخليج سارت على خطى الجامعات الغربية من خلال التركيز على تدريس مقررات تحمل عناوين محددة داخل المجال السوسيولوجي. وإضافة إلى ذلك، فإن بعضاً من الرعيل الأول من علماء الاجتماع الغربيين قضوا فترات في التدريس بالجامعات العربية، مما عمّق من التبعية الأكاديمية وأجل تأسيس تقليد سوسيولوجي محلي مستقل. التركي (2012)

وظهر علم الاجتماع في المغرب العربي كحقل أكاديمي متأثر بالاستعمار الفرنسي، إذ جعلت السلطات الاستعمارية من بلدان المنطقة ميداناً للدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية في خدمة الأيديولوجيا الكولونيالية، مع السعي في الوقت نفسه إلى نقل العلوم والمعارف وتشكيل تخصصات جامعية، حيث قام بيار بورديو بتدريس علم الاجتماع بجامعة الجزائر خلال خمسينيات القرن الماضي. وفي المغرب أنشئ معهد السوسيولوجيا سنة 1960 بدعم من منظمة اليونسكو، لكنه أُغلق سنة 1971، فتم دمج تدريس علم الاجتماع بعد ذلك في شعبة الفلسفة وعلم النفس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس. وفي الستينيات أنشأت أقسام علم الاجتماع في كل من تونس

والجزائر وليبيا، وأنشئ قسم علم الاجتماع بالسودان سنة 1958، وفي السعودية سنة 1973. (ابراهيم وآخرون، 2010، 35).

وتتشابه نظرة المجتمعات في المغرب العربي مع بقية المجتمعات العربية في اعتبار علم الاجتماع علماً ثانوياً أو كمالياً، حيث يقتصر أغلب المشتغلين به على الجوانب النظرية دون التطبيقية، مما يجعل الباحث الجامعي يفتقر إلى الخبرة الميدانية نتيجة غياب المخابر البحثية. (العيسوي، 2008، 35). كما أشار جمال معتوق إلى أن بعض الباحثين الجزائريين لا يمتلكون مكتبات خاصة، على خلاف نظرائهم في تونس والمغرب الذين هم في وضع أفضل نسبياً، مضيفاً أن غلاء المعيشة ينعكس سلباً على قدرتهم على اقتناء الكتب وتوفير الأدوات الضرورية للبحث، وهو ما يؤثر أيضاً على راحتهم النفسية. (معتوق، 1998، 35). وجاء علم الاجتماع في هذه البلدان بمنهج علمي مشابه لبقية الأقطار العربية، غير أنه بعد مرحلة الاستقلال استمد زخمه من الدراسات الاجتماعية التي تناولت الواقع المحلي، مركزةً على تحليل آثار الاستعمار وما خلفه من تحولات اجتماعية وثقافية وسياسية. (العيسوي، 2008، 35).

وصفوة القول ظهر علم الاجتماع في الوطن العربي مع الحقبة الاستعمارية في القرن الماضي، حيث أسسه الاستعمار الفرنسي أو البريطاني وجعل من المجتمع موضوعاً للدراسات السوسيولوجية لفهمه من الداخل. وبعد حصول الدول العربية على استقلالها، سعت إلى توظيف هذا العلم في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما استُخدم في المجال الثقافي لاستعادة الهوية. غير أنه مع نهاية الثمانينيات انهارت مشاريع التنمية وفشلت المشاريع السياسية القومية، فوجد علم الاجتماع نفسه أمام مفارقة ازدياد عدد الدارسين والباحثين، مقابل استمرار تهميشه من قبل السياسيين. (مهرياشة، 2018، 12).

2.2- ظروف نشأة علم الاجتماع في الوطن العربي:

يتفق المحللون السوسيولوجيون على أن الفكر الإنساني، بما في ذلك الفكر السوسيولوجي يتأثر بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يظهر فيه ولا ينفصل عن ظروف المجتمع الذي ينشأ فيه، لأنه يعكس طبيعة علاقاته الاجتماعية وأوضاعه الاقتصادية والسياسية. ورغم ما يتمتع به الفكر من استقلال نسبي قد يجعله أحياناً متقدماً على الواقع أو متأخراً عنه، إلا أنه يبقى مرتبطاً بعوامل موضوعية تحدد دوره ما إذا كان سيساهم في كشف الواقع وتجاوزه، أو في تزيفه للحفاظ عليه. وهذه المسائل يمكن أن تساعد في فهم مسارات علم الاجتماع في الوطن العربي. والواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي ولد فيه علم الاجتماع في الوطن العربي قد لعب دوراً أساسياً في توجيهه وكذا في هويته. الأمر الذي يجعل فهم هذه الظروف ضرورياً لفهم مسارات علم الاجتماع العربي الحديث:

أ- الاستعمار: لقد تشكل علم الاجتماع في الوطن العربي في ظل واقع استعماري معقد، حيث عملت القوى الاستعمارية على تقسيم المنطقة إلى دويلات سياسية ومناطق نفوذ، وسعت إلى إذكاء الصراعات الداخلية عبر استغلال البنى الاجتماعية التي أنشأتها أو التحالفات القبلية والإثنية التي دعمتها. وقد انعكس هذا الواقع على الفكر والعلم الاجتماعي، فطُبع بطابع يخدم مصالح النخب الضيقة على حساب الأغلبية، سواء على مستوى الدولة أو على مستوى الأمة العربية ككل. كما أن القوى الاستعمارية سخرت البحوث والدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية لتكريس سيطرتها ومصالحها، فكان البحث الاجتماعي في تلك المرحلة وسيلة لتكريس السيطرة الاستعمارية بدل أن يكون وسيلة لفهم المجتمع وتطويره. وبشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ العلوم الاجتماعية.

ب- **التبعية:** لقد مثل التخلف إحدى السمات البارزة التي وُلد في ظلها علم الاجتماع في الوطن العربي، حيث رافق الاستعمار صور متعددة من التبعية أصبحت تكاد تشكل قاعدة ثابتة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر. فقد كان الاستعمار بمختلف أشكاله الإنجليزي والفرنسي والإيطالي، وسيلة أساسية لخدمة النظام الرأسمالي الأوروبي الصاعد ودعمه. ومن خلال ذلك سعى إلى تقسيم الوطن العربي إلى كيانات صغيرة ودويلات ومناطق نفوذ، كما حرص على تغذية الصراعات الداخلية في كل قطر، وإشعال النزاعات بين الأقطار نفسها، مما أدى إلى تكريس التخلف، ونهب الموارد، وتقييد الإرادة الشعبية. ولم يقتصر دوره على السيطرة المادية، بل حاول أيضًا أن يطبع العلم والفكر بطابع يخدم مصالحه ويحافظ على استمراره. وهو ما أثر بوضوح على طبيعة الفكر السوسيولوجي واتجاهاته في الوطن العربي.

ج- **البناء الاجتماعي للمجتمع العربي:** يقصد بالبناء الاجتماعي للمجتمع العربي طبيعته الخاصة وما يتميز به من عادات وتقاليد وأعراف، إلى جانب ما تفرضه الشريعة الإسلامية من ضوابط وتشريعات تضبط السلوك الإنساني وتنظم العلاقات الاجتماعية بدءًا من الفرد، مرورًا بالأسرة، وصولًا إلى المجتمع ككل. وهذا ما يمنح المجتمع العربي خصوصية واضحة تجعله مختلفًا عن المجتمعات الغربية، بحيث لا يمكن إسقاط أو تطبيق كثير من الدراسات والنظريات السوسيولوجية الغربية عليه بشكل مباشر. بوقرة وهامل (2016)

3.2- السياق الثقافي والمعرفي لبدايات علم الاجتماع في الوطن العربي:

رغم تأخر ظهور علم الاجتماع في الوطن العربي مقارنة بالعالم الغربي، فإن تأسيسه الأكاديمي في الجامعات العربية اتسم بسمات ثقافية ومعرفية خاصة. فقد انقسم العالم العربي إلى قسمين: المشرق العربي، الذي كان سبًا في التعرف على علم الاجتماع، وتمثله دول مثل مصر والعراق والأردن وسوريا، حيث تأثر هذا العلم بالدراسات الأنجلوفونية البريطانية والأمريكية وبالإرث الاستعماري الإنجليزي، خاصة في ما يتعلق باللغة الإنجليزية. أما المغرب العربي، الذي يشمل الجزائر والمغرب وتونس، فقد تأثر بالمدرسة فرانكوفونية الفرنسية وبالدراسات الكولونiale ذات الطابع السوسيولوجي والأنثروبولوجي التي وظفها الاستعمار الفرنسي لفهم طبيعة هذه المجتمعات ومحاولة إخضاعها، خصوصًا الجزائر.

2-3-1- **السياق الثقافي:** ظهر علم الاجتماع في العالم العربي بشكل متدرج، وكانت مصر السبقة في تأسيسه الأكاديمي والدراسات الاجتماعية. وقد ارتبطت بداياته في المنطقة بالحقبة الاستعمارية، حيث استُخدم كأداة لخدمة مصالح المستعمرين وهيمنتهم على المجتمعات العربية، مما أكسبه طابعًا كولونياليًا واضحًا، خاصة في الجزائر إذ لعب المستعمر دورًا كبيرًا في توجيه الدراسات الاجتماعية والسوسيولوجية حيث استُخدم علم الاجتماع كأداة لفهم البنية الاجتماعية للمجتمع وإحكام السيطرة عليه، ولهذا اصطبغ بالصبغة الكولونيالية أو "الاستعمارية". ففي فترة الاستعمار الفرنسي أنجزت أبحاث سوسيولوجية استعمارية من طرف باحثين فرنسيين لخدمة سياسات فرنسا الاستعمارية، ومن أبرز هؤلاء جاك بيرك (Jacques Berque) الذي ألّف أكثر من 43 كتابًا و200 مقال، وبيار بورديو (Pierre Bourdieu) الذي نشر أعمالًا بارزة مثل سوسيولوجيا الجزائر (1958)، الجزائريون (1962)، والعمل والعمال في الجزائر (1963)، كما ساهم ماسكراي (Masqueray) بدراسة القبائل والعروش الجزائرية مثل المجتمع الميزابي، إلى جانب دراسات كورنيل وتريميلي (Corneille Trumelet) في مناطق مثل بوفاريك والبليدة، وهو الذي يُعد من أبرز مؤرخي السوسيولوجيا الاستعمارية في

الجزائر وإفريقيا. وقد استفاد الاستعمار الفرنسي من هذه البحوث في تنفيذ سياساته، مثل سياسة التجهيل وسياسة محو الهوية الإسلامية. (المدني، 2007، 13).

وشهدت خمسينيات القرن الماضي في مصر قبيل ثورة يوليو، نشأة البذور الأولى لعلم الاجتماع، والتي أثرت لاحقاً في تأسيس أقسام هذا العلم بالجامعات العربية، وفي وضع المناهج والمقررات الدراسية. وقد ركز رواد هذه الفترة على إبراز أهمية علم الاجتماع كعلم مستقل ومتميز عن غيره من العلوم الاجتماعية. ومن أوائل الأعمال المؤثرة كتاب علم الاجتماع لنيقولا حداد (1925) الذي اعتُبر أول مؤلف عربي في هذا المجال تناول الكتاب قضايا فكرية بارزة مثل النظرية الداروينية والنظرية التطورية، وترجم بعض أعمال المفكر البريطاني هيربرت سبنسر، كما قدّم ملخصاً لتطور الفكر الاجتماعي في الغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. (حمداش، 1990، 94) ومن الكتب الهامة كتاب "عبد العزيز عزت" علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية سنة 1949 الذي عرّف بأهمية علم الاجتماع وأبرز دوره في فهم مشكلات المجتمع، مستنداً إلى أفكار الفرنسي إيميل دوركايم، والتأكيد على ضرورة وجوده كتخصص في الجامعات والمراكز العلمية في مصر والوطن العربي. (عزت، 1949، 216) وكذلك برز كتاب حسن سعبان الذي صدرت منه عشر طبعات واعتمد في التدريس بمصر والكويت ولبنان وليبيا، حيث عرض فيه أسس علم الاجتماع وطرائق دراسة الظواهر الاجتماعية، مستنداً إلى مراجع بريطانية وفرنسية وأمريكية، ومتأثراً بالفلسفة الوضعية لأوغست كونت ودوركايم. كما ظهر كتاب في بغداد عام 1950، وكتاب عبد الكريم اليافي تمهيد في علم الاجتماع (1955)، وتُعد هذه الأعمال من أولى جهود التأليف العربي. (سعبان، 1978، ص 95) وفي ذات السياق شهدت فترة الخمسينيات كذلك تأسيس الجامعات وإنشاء أقسام متخصصة لعلم الاجتماع، إلى جانب المراكز القومية للبحوث الاجتماعية، مثل المركز القومي للبحوث الجنائية في مصر، والمركز القومي لمكافحة الجريمة في السعودية، والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والاقتصادية في السودان، والمركز الوطني للبحوث والتحليل للسكان والتنمية (CRACS)، كما ساهمت بعض الجهات غير الحكومية مثل منتدى العالم الثالث في القاهرة في إنتاج الدراسات السوسولوجية، إلى جانب الوزارات التي أجرت أبحاثاً خاصة بقطاعاتها مثل وزارات الشؤون الدينية والتربية والتعليم والصحة والصناعة. وقد أسهمت هذه المؤسسات في إثراء البحث الاجتماعي وصياغة السياسات والبرامج الاجتماعية والثقافية، مما أدى إلى تراكم معرفي واسع في علم الاجتماع على مستوى الوطن العربي. (باقادر وعرابي، 2006، 42)

2-3-2- السياق المعرفي: يتمثل في المرجعية الفكرية والنظرية التي سادت علم الاجتماع في الوطن العربي خلال بداياته، حيث كانت الجامعات العربية تتبع المدرسة الغربية في موضوعاتها ومناهجها. فقد تبنّت الجامعات العربية منذ التأسيس، المناهج الوضعية والدوركايمية التي كانت تعكس توجهات الفكر الغربي السائدة في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وقد ظل هذا التوجه مسيطراً حتى سبعينيات القرن الماضي، إذ ركّز علم الاجتماع العربي على الطرح النظري دون تبني النزعة النقدية أو البحث الإمبريقي، واكتفى بنقل الإرث السوسولوجي الغربي إلى الطلبة حيث كان الاهتمام منصّباً على أعمال المدرسة الدوركايمية والفلسفة الوضعية لأوغست كونت، مما جعل هذا العلم أقرب إلى عملية نقل واستنساخ للمعرفة السوسولوجية الغربية بدلاً من إنتاج معرفة محلية نابغة من واقع المجتمعات العربية، وهو ما انعكس بوضوح في كتابات الجيل الأول والثاني من السوسولوجيين العرب في مصر والمغرب العربي، فالمصريين الأوائل اتجهوا إلى تبني الخطاب الوضعي والدوركايمي، وكذلك في إنتاج الباحثين الجزائريين مثل د. فاروق عطية، د. عبد الرحمن بوزيدة، د. عبد الغني

مغربي، ود. نور الدين حقيقي، حيث طغت اللغة الفرنسية والخطاب الدوركايمي على إنتاجهم العلمي. ولم يتمكن هذا الجيل من الباحثين من إحداث قطيعة معرفية مع الامتداد الكولونيالي الذي ورثته المجتمعات العربية بعد الاستقلال، بل بقي مرتبطاً به من خلال اعتماد البحوث الاستعمارية كمراجع للتدريس والترجمة، إلى جانب تأثير الجيل الأول من الأكاديميين. هذا الارتباط بالموروث الاستعماري يفسر الحضور الواضح للنظريات السوسيولوجية الغربية في مختلف أقطار الوطن العربي؛ فبرزت النظريات الفرنسية (الوضعية والدوركايمية) في دراسات المغرب العربي، وسيطرت النظرية البنائية الوظيفية في البحوث الاجتماعية العربية، بينما كانت النظريات الأنجلوساكسونية (الماركسية والفيبرية) أكثر تأثيراً في بحوث المشرق العربي. وقد استمد علم الاجتماع العربي في هذه المرحلة الكثير من قوته من الدراسات الاجتماعية التي ركزت على الواقع الاستعماري وآثاره الاجتماعية والثقافية مما جعله انعكاساً لتيارات الغرب أكثر من كونه إنتاجاً معرفياً مستقلاً. (المدني، 2007، 14).

3- الممارسة السوسيولوجية في الوطن العربي بين التبعية الفكرية والقيود الأيديولوجية:

شهد علم الاجتماع في مصر خلال أوائل الستينات أي في أعقاب ثورة يوليو، مرحلة ترسخ ملحوظ في المؤسسات الجامعية، فقد انتظمت في هذه الفترة حركة البحث الأكاديمي، ولا سيما في رسائل الماجستير والدكتوراه، التي مثلت إنتاج الجيلين الثاني والثالث من علماء الاجتماع، والذين تلقوا تدريبهم وتأهيلهم على أيدي الرواد الأوائل. وقد سارت معظم هذه البحوث على النهج الفكري والمنهجي الذي وضعه الرواد، إذ انحصرت في موضوعات ذات طابع فلسفي، من بينها: فلسفة التاريخ عند كوندورسيه "عاطف أمين وصفي" بجامعة القاهرة. مساهمة علم الاجتماع في حل مشاكل الفلسفة "لقباري إسماعيل حسن" بجامعة الإسكندرية، النظرية الاجتماعية عند كارل مانهايم "السيد محمود" بجامعة الإسكندرية، النظرية الاجتماعية عند هيجل ودورها في علم الاجتماع "نبيل السالموط" بجامعة الإسكندرية، علم الاجتماع التربوي عند الألمان "السيد رمضان" بجامعة الإسكندرية. علم الاجتماع في بريطانيا "فريد خليفة". (باقادر وعربي، 2006، 11).

وأما في فترة نهاية الستينات فقد كان المناخ السياسي والاقتصادي في المجتمعات العربية يتجه نحو التصنيع وتبني النهج الاشتراكي، وهو ما انعكس بوضوح على مسار البحث العلمي العربي فقد تناولت الرسائل الجامعية في تلك الفترة قضايا محورية مثل: المشكلات العمالية وأثرها في الإنتاج لحسن عبد الخالق محمد، دراسة اجتماعية لعلاقات العمل بشركة مصر للغزل والنسيج لحلمي إسماعيل، ومشاكل العمل والعمال بقطاع الشحن والتفريغ لعبد الله غانم. وقد مثل التركيز على دراسة قضايا أو مشكلات مرتبطة بقطاعات محددة من المجتمع العربي في مراحل تطوره تقدماً لعلم الاجتماع، غير أن هذا التقدم كان محدود الأثر؛ إذ لم يُستثمر في تطوير نموذج إرشادي متكامل يمكن أن يسهم بدور فعال في مجالي البحث والنظرية والمنهج في الوطن العربي. (باقادر وعربي، 2006، 12). وشهد علم الاجتماع في الوطن العربي في هذه الفترة توظيفاً واضحاً لخدمة الأيديولوجية الاشتراكية، وتم تسخير الجهود السوسيولوجية حيث وظّف الباحثون معارفهم وإنتاجهم العلمي لخدمة المشروع الأيديولوجي الاشتراكي. وتميّزت هذه الفترة بتحوّل علم الاجتماع من مجال أكاديمي بحث إلى أداة أيديولوجية في خدمة الحزب الحاكم، فأصبح محتوى المقررات الدراسية يكرّس تمجيد الاشتراكية على حساب تهميش الرأسمالية والتوجهات ذات المرجعية الإسلامية. كما جاءت التخصصات المطروحة في هذا الحقل مواكبةً للمشروع الاشتراكي الذي تبنته الدول العربية، فبرزت فروع مثل علم الاجتماع الريفي والحضري والصناعي دعماً للثورة الصناعية، مما أفسح المجال أمام هيمنة علم الاجتماع الثوري النقدي المشبع بالمبادئ الماركسية. غير أن الساحة

السوسيولوجية لم تكن موحدة، إذ انقسمت بين تيار مؤيد للاشتراكية الماركسية، وآخر يمجّد الرأسمالية ويمثل مصالح البرجوازيين ومالكي الأراضي ورؤوس الأموال الذين تلقوا تكوينهم في إطار الفكر الرأسمالي. وفي المقابل برزت قلة من علماء الاجتماع العرب الذين تمسكوا بممارسة البحث السوسيولوجي بأسلوب علمي خالص، رغم ما تعرضوا له من تهمة إقصاء من قبل الأنظمة، وهو ما دفع الكثير منهم إلى اختيار الهجرة. عرابي والهمالي (1990)

وبعد سبعينيات القرن العشرين، شهد المجتمع المصري تحولات بارزة خاصة في أعقاب نكسة 1967 وما خلفته من آثار عميقة على الأمة العربية بأسرها. وقد دفعت هذه النكسة بالبحث العلمي إلى التوجه نحو دراسة القرية المصرية والريف، الذي كان آنذاك محتفظاً بقدر كبير من هويته، إذ لم يكن قد تعرض بعد لتأثيرات التحديث والتغيير الجذري. انعكس هذا التوجه في الرسائل الجامعية والأبحاث المنجزة خلال تلك الفترة، والتي أولت اهتماماً خاصاً بالريف وقضاياها، مع التركيز على دراسة القيم والتقاليد والتغيرات التي تطرأ عليها، وما ينجم عنها من مشكلات اجتماعية. ومن أبرز هذه الدراسات ما أجراه الدكتور محمود سالم بين عامي 1970 و1980، حيث تناولت أبحاثه قضايا التغيير الاجتماعي والتنمية والمشكلات الاجتماعية، إلى جانب موضوعات في علم الاجتماع السياسي، مع اعتماد القرية المصرية مجالاً أساسياً للبحث. وقد خلص الدكتور سالم إلى أن معظم الدراسات السوسيولوجية المنجزة في القرى المصرية، وكذلك إسهامات علم الاجتماع في تطوير المجتمع الريفي سواء في مصر أو في الوطن العربي، لم تحقق مستوى الرضا المنشود. (باقادر وعرابي، 2006، 13) ومع تبني الدولة للتوجه الليبرالي أصبح المشروع الليبرالي يمثل الأساس في عملية التنمية السوسيو-اقتصادية، خاصة في نظر المفكرين الأكثر ميولاً إلى الفكر الليبرالي. أما في الجزائر فقد شهد علم الاجتماع تراجعاً في أهميته نتيجة تركيز الدول العربية على تمجيد العلوم الطبيعية والتكنولوجية على حساب العلوم الاجتماعية، وذلك تحت شعار التنمية والتغيير. (محمود، 1998، 321).

3-1- معوقات علم الاجتماع في الوطن العربي: من خلال تتبّع مسار تطور علم الاجتماع في الوطن العربي، يتضح أنه يواجه جملة من المعوقات النظرية والمنهجية التي تحول دون بلورة علم اجتماع عربي قادر على التصدي لمشكلات المجتمع العربي، ويمكن الإشارة إلى أبرزها فيما يلي:

3-1-1- المشكلات النظرية

- غياب مدرسة سوسيولوجية عربية: على عكس المدارس الغربية المتميزة مثل الفرنسية أو الألمانية أو الأمريكية، لم ينجح علم الاجتماع العربي في تأسيس مدرسة فكرية متكاملة خاصة به.

- غياب رؤية نظرية متكاملة للواقع العربي: شكّل عائقاً أمام بناء مرجعية فكرية قادرة على فهم هذا الواقع وتفسيره. هذا الوضع يعكس نمطاً من التفكير الجامد الذي لا يسهم في تجديد وتطوير العلم، مما جعل الخطاب السوسيولوجي العربي أسير التفكير الجامد والاعتماد المفرط على النماذج المستوردة ما يدفع نحو تقليص دوره علم الاجتماع في البيئة العربية. (الجيلاني، 2014، 12).

- تبعية البحث السوسيولوجي للنظريات الغربية: تعاني الممارسة البحثية السوسيولوجية العربية من التبعية للنظريات الغربية نتيجة غياب نظريات عربية أصيلة يمكن استخدامها كأطر تحليلية لتفسير القضايا الاجتماعية العربية، وقد أدى ذلك إلى طغيان التقليد والتكرار، حيث صبغت معظم الممارسات العربية بروح استيراد النظريات الغربية رغم أنها نابغة من خصوصيات المجتمعات الغربية، كما يظهر في هيمنة النظريات الأنجلوساكسونية على الدراسات السوسيولوجية في المشرق العربي، مقابل سيطرة النظريات الفرانكفونية الفرنسية في المغرب العربي.

ورغم القيمة العلمية لهذه النماذج، فإنها تمثل إنتاجاً فكرياً غريباً عن بيئتنا، صيغ لفهم واقع مغاير لواقعنا، مما يجعلها غير ملائمة في كثير من الأحيان للبيئة الاجتماعية العربية. ويؤدي توظيف هذه النظريات دون تمحيص نقدي إلى عرقلة تأسيس وتطوير علوم اجتماعية عربية مستقلة، بل ويسهم في إسقاط مشكلات العالم الغربي على البنى الثقافية والاجتماعية لمجتمعاتنا. (الكنز، 1990، 100).

- **سيادة المفاهيم الغربية:** تهيمن مفاهيم السوسيولوجيا الغربية خاصة الاتجاه البنائي الوظيفي على الدراسات السوسيولوجية العربية حيث يستخدم الباحثون مصطلحات مثل: التنظيم، النظام، النسق، التكامل، التوازن، التكيف، الى جانب مصطلحات مترجمة بصيغتها الأجنبية مثل: الاستيمولوجيا، السوسيولوجيا، البراديغم، الجندر. وهي مفاهيم مقتبسة من المدارس الفرانكفونية والأنجلوساكسونية، ويواجه الباحثون العرب إشكالية ضبط وتوحيد المصطلحات في علم الاجتماع نتيجة الترجمة غير الدقيقة للنصوص الغربية، وهي مشكلة ازدادت وضوحاً مع اعتماد النشر باللغة العربية، مما أدى إلى حالة من الارتباك بين المشتغلين في الحقل الاجتماعي العربي. ولتجاوز هذه الإشكالية، بادر بعض الباحثين العرب إلى إصدار موسوعات متخصصة باللغة العربية، من أبرزها *الموسوعة في العلوم الاجتماعية* لفريدريك معتوق. (حنفي، 2014، 46).

- **غياب النظريات السوسيولوجية العربية:** يُعزى غياب النظريات السوسيولوجية العربية إلى عدم وجود مدارس فكرية تضم علماء اجتماع عرب قادرين على بلورة أطر نظرية محلية. ويكاد التناول الأكاديمي للنظريات العربية الإسلامية يقتصر على إشارات محدودة أبرزها أعمال ابن خلدون وأفكار مالك بن نبي التي لا تحظى بحضور مؤثر في مناهج الجامعات العربية. ونتيجة لهذا الفراغ النظري، يلجأ الباحثون السوسيولوجيون العرب إلى الاعتماد على النظريات الغربية، مبررين ذلك باعتبارها منجزات علمية ذات طابع عالمي لا تقتصر على تفسير الواقع الغربي، بل تمتد - وفق تصورهم - لتشمل الواقع العربي أيضاً، وهو ما يعكس اعترافاً ضمنيّاً بالهيمنة المعرفية الغربية بوصفها معرفة ذات بعد كلي. (خضر، 2008، 155).

- **هيمنة الاتجاهات الأيديولوجية الوظيفي والوضعي على علم الاجتماع:** تعد التبعية المطلقة للمدرسة الغربية خصوصاً الوضعية الفرنسية والاتجاه البنائي الوظيفي من أبرز العوائق أمام تطور علم الاجتماع العربي. ويرتبط ذلك بتاريخ الاستعمار والبعثات التعليمية الى الغرب، ما منع ظهور علم اجتماع نقدي عربي مستقل ونتيجة لذلك أصبح علم الاجتماع في البلدان العربية أسيراً للوضعية الفرنسية والأمريكية، وغير قادر على إنتاج معرفة نقدية أو توسيع النظريات الغربية لاستيعاب خصوصيات المجتمع العربي. فالنقد بطبيعته هو الوسيلة الأساسية لإعادة إنتاج معرفة سوسيولوجية تساهم في تحليل الظواهر الاجتماعية من منظور واقعي وملائم. (الذهبي، 2022، 45).

مما جعل الباحثين السوسيولوجيين العرب غير قادرين على نقد علم الاجتماع الغربي وتوسيع مفاهيمه ونظرياته لتستوعب الواقع الاجتماعي العربي، حيث أن النقد يسهم في إعادة إنتاج معرفة سوسيولوجية قادرة على استيعاب الظواهر الاجتماعية العربية ضمن منظور النظريات الغربية. (بدوي، 2011، 45)

- **تبعية علم الاجتماع العربي للأيديولوجيات الأجنبية:** رغم التحولات العلمية والاكتشافات المتسارعة التي تفرض على علم الاجتماع مواكبة التطورات واستيعاب المكتسبات الجديدة، لا يزال هذا العلم في الوطن العربي خاضعاً لهيمنة الأيديولوجيات والمناهج الأجنبية، مما يعمق أزيمته ويحدّ من فاعليته البحثية. حمزاوي (2017). ويعود ذلك بدرجة كبيرة إلى التأثير الثقافي الأجنبي وما أحدثه من تشويه فكري، إلى جانب الاعتماد شبه الكامل

على المصادر المترجمة، وهو ما جعل الأزمة تتفاقم في سياق التبعية والتخلف. كما أن ارتباط علم الاجتماع العربي بالأيديولوجيا لم يترافق مع تقديم حلول عملية للمشكلات السياسية والاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات العربية، الأمر الذي أبقاه في دائرة التبعية للمضمون والمنهج الغربي. (حنفي ومجاهدي، 2014، 46).

- **غياب هوية سوسيولوجية عربية لعلم الاجتماع العربي:** لم يتمكن المشتغلون بعلم الاجتماع في الوطن العربي حتى اليوم من إضفاء هوية خاصة لهذا العلم، أو صياغة نظرية شاملة تعكس الواقع الاجتماعي العربي، بحيث تُمكن من فهم الأحداث والظواهر الاجتماعية وتفسير الخصوصيات الثقافية والحضارية لمجتمعاتنا على نحو يتجاوز النماذج المستوردة. أمينة (2021)

- **قصور إنتاج المعرفة السوسيولوجية العربية:** يعاني علم الاجتماع في الوطن العربي من أزمة معرفية تتجلى في عجز البحث العربي عن إنتاج معرفة سوسيولوجية تعكس الخصوصيات الثقافية والحضارية والاجتماعية للمجتمعات العربية. ويُعزى ذلك إلى ضعف الممارسات البحثية، نتيجة الظروف التاريخية التي نشأ في ظلها علم الاجتماع العربي، وتأثير السوسيولوجيا الكولونيالية على الباحثين العرب. والاعتماد المفرط على السوسيولوجيا الغربية وخاصة على النظريات البنائية والماركسية وتطبيقها بشكل غير ملائم للواقع العربي. ونتيجة لذلك وجد الباحث العربي نفسه أمام حالة من "استعارة المنهج من الحقل الغربي" وتطبيقه على الواقع المحلي، في محاولة لإنتاج معرفة سوسيولوجية عربية، وهو ما يعكس في جوهره محدودية الأفق المنهجي للممارسة البحثية. (مهرياشا، 2018، 83).

- **قصور التنظير السوسيولوجي العربي:** تُظهر الإسهامات النقدية التي قدمها بعض الباحثين العرب للنظرية السوسيولوجية الغربية، سواء في اتجاهها المحافظ أو الثوري، قصوراً ملحوظاً في إنتاج مقاربات علمية تعكس واقع المجتمعات العربية. فقد انشغل هؤلاء الباحثون بمناقشة الأطر النظرية الغربية دون أن يقدموا محاولات جادة لتأسيس نماذج تحليلية مرتبطة بالسياق المحلي، مما جعل إسهاماتهم، سواء النظرية أو الإمبريقية، ذات طابع هامشي. ويرجع ذلك إلى عدم بلوغها مستوى التنظير القادر على تفسير وتحليل قضايا اجتماعية جوهرية، مثل البطالة، والفقر، والأمن الاجتماعي، والانحراف. بن سعدة وغريب (2017).

- **الأزمة المعرفية في نقد السوسيولوجيا الغربية:** تتمثل إحدى أبرز الأزمات المعرفية التي يعاني منها علم الاجتماع في الوطن العربي في قصور الباحثين العرب عن ممارسة نقد منهجي للسوسيولوجيا الغربية، وعن تطوير وتوسيع مفاهيمها ونظرياتها بما يمكنها من استيعاب الواقع الاجتماعي العربي. فالنقد العلمي يشكل مدخلاً أساسياً لإعادة إنتاج معرفة سوسيولوجية قادرة على تفسير الظواهر الاجتماعية المحلية ضمن أطر نظرية رصينة، سواء عبر تكييف النظريات الغربية مع الخصوصيات العربية أو صياغة بدائل نظرية جديدة. (ساري، 1985، 192).

- **اغتراب البحث السوسيولوجي عن الواقع العربي:** تتجلى أزمة الاغتراب في الدراسات السوسيولوجية العربية من خلال اعتماد غالبية الباحثين العرب على النظريات السوسيولوجية الغربية التي تبتعد عن خصوصيات الواقع العربي ولا تقدم تفسيراً ملائماً له. فقد انشغل هؤلاء بالمفاهيم التعليمية المستوردة مثل النسق، والتوازن، والتكامل، والتكيف، مع سيادة المنهج الوضعي كأساس لمعظم البحوث السوسيولوجية العربية. وقد أسفر ذلك عن إنتاج دراسات مغتربة عن واقع المجتمع العربي، ما دفع بعض الباحثين إلى التشكيك في هوية علم الاجتماع العربي، معتبرين أنه لم يتفاعل مع القضايا المجتمعية الجوهرية للعالم العربي، وأن اهتمامات علماء الاجتماع العرب ما زالت مطابقة إلى حد كبير لاهتمامات نظرائهم في الغرب. الذهبي (2022)

- **هيمنة النقل والترجمة على الانتاج السوسيولوجي العربي:** يكشف التأمل في الإنتاج السوسيولوجي العربي عن تبعية واضحة لما تنتجه المراكز العلمية الغربية، سواء الأوروبية أو الأمريكية، في ظل غياب علم اجتماع يتابع الواقع العربي نظرياً وتحليلياً. فمنذ نشأة علم الاجتماع العربي، ظلت منهجية النقل والترجمة هي السائدة، حتى بعد تجاوز مرحلة التأسيس الأولى. يقول محمد عزت حجازي " أننا لا ننتج علماً حقيقياً، وإنما نستورده، ونستهلك دون تبصر، ونخلط في ذلك بين ما يمكن أن يفيد وما لا غنى عنه". (حجازي، 2010، 14). وفي السياق ذاته أشار التقرير الصادر عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية إلى أن ما ينتجه علم الاجتماع العربي الحديث لم يسهم في تقدم المجتمعات العربية، ولم يتعد كونه نظريات واهية الصلة بالمشكلات الفعلية للمجتمع، مؤكداً أن معظم المشتغلين به كانوا مجرد وسطاء ومترجمين، لا علماء حقيقيين، مع استثناءات نادرة. (خضر، 2000، 13). وتبرز هذه الظاهرة بوضوح في الجزائر، حيث يقتصر عمل كثير من الباحثين على نسخ ونقل المعارف السوسيولوجية الغربية دون مراعاة متطلبات الحداثة أو الخصوصية الاجتماعية المحلية. (باقادر وعرابي، 2006، 181).

- **تعدد المرجعيات الفكرية وغياب الانتماء للسياق العربي:** يُلاحظ في الساحة الأكاديمية العربية تعدد الاتجاهات الفكرية التي ينتمي إليها أساتذة علم الاجتماع، مثل الوظيفية، والبنوية، والماركسية، والنقدية، والبنائية، وغيرها. وغالباً ما يوظف كل باحث جهوده وطاقاته البحثية لخدمة المذهب أو المدرسة التي يتبناها، وهي في معظمها مدارس نشأت خارج السياق العربي ولا تمت بصلة مباشرة إلى قضايا المحلية. ونتيجة لذلك، تذهب هذه الجهود عملياً إلى إثراء وتطوير علم الاجتماع الغربي، سواء كان فرنسياً أو ألمانياً أو إنجليزياً، في حين يبقى الإسهام في تطوير علم الاجتماع العربي محدوداً أو غائباً. (الذهبي، 2021، 421).

- **التحدي المزدوج لعلم الاجتماع العربي:** يواجه علم الاجتماع في الوطن العربي مهمة علمية معقدة تتمثل في التحرر من هيمنة النظريات الغربية من جهة، وفي الوقت ذاته دراسة الواقع العربي بخصوصياته الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، باعتباره علماً مرتبطاً بكل مرحلة تاريخية من تطور المجتمع العربي. (عبد المعطي، 1998، 23).

- **قصور الاجتماعيين العرب في بناء بديل عربي ومنهجي:** يعاني علماء الاجتماع العرب من غياب وضوح الرؤية على المستويين النظري والمنهجي، إذ يكتفون غالباً بنقد ما يُطرح في المجتمعات الغربية دون التوصل إلى صياغة نظرية تعكس خصوصية المجتمع العربي. وتتمثل إشكالية بحوثهم في ابتعادها عن الواقع المجتمعي العربي، وعدم تقديمهم بديلاً نظرياً أو منهجياً قادراً على دراسة مشكلات المجتمعات العربية وتحليلها بعمق. (خضر، 2008، 32).

- **ضعف الإسهامات النظرية والامبريقية:** لا تزال أغلب الدراسات هامشية وغير قادرة على تفسير القضايا الاجتماعية الكبرى مثل البطالة، الفقر، الأمن الاجتماعي، الانحراف. (الباسط، 1998، 189).

- **غياب النزعة النقدية في علم الاجتماع العربي:** يتجلى غياب النزعة النقدية الثورية، التي لطالما شكلت جوهر علم الاجتماع العربي كأداة للتغيير، في كون غالبية السوسيولوجيين العرب ينحدرون من أصول ريفية أو من الطبقات الاجتماعية الفقيرة، ما جعلهم يتسمون بنزعة محافظة. وقد انعكس ذلك على إنتاجهم الفكري، إذ أسسوا

لعلم اجتماع برؤية دينية محافظة تحد من قدرته على أداء دوره الفاعل في إحداث التغيير المنشود. (العياشي، 2003، 67)

- **سيطرة النزعة الوصفية وضعف الروح النقدية في البحث السوسيولوجي العربي:** تنتم العقلية البحثية العربية في مجال الدراسات الاجتماعية بطبيعة وصفية غالباً ما تحدّ من فاعلية البحث العلمي، حيث تقتصر معظم الأبحاث السوسيولوجية على مرحلة الوصف دون الانتقال إلى التحليل والتفسير العميق. وتغلب على هذه العقلية سمات المزاجية والمعالجة العاطفية للمشكلات الاجتماعية، إضافة إلى قصور في النزعة العقلية النقدية، وهو ما يعكس تأثير أنماط التربية والتعليم في المدارس والجامعات العربية، وكذلك التنشئة الاجتماعية التي تركز عقلية تقليدية تقتصر على الروح النقدية القادرة على تطوير المعرفة. كما يرافق ذلك غياب الالتزام بأبسط معايير الدقة العلمية والموضوعية في جمع البيانات، وتوثيقها، ومعالجتها، وصولاً إلى النتائج المستخلصة. (رشيق، 2022)

- **غياب النموذج الإرشادي المرتبط بخصوصية المجتمع العربي:** معظم الدراسات السوسيولوجية في الوطن العربي لم تتمكن من الإسهام في تطوير المجتمعات العربية، وذلك لافتقارها إلى نموذج إرشادي يرتبط فعلياً بقضايا ومشكلات هذه المجتمعات ويعكس خصوصيتها. كما أنها تقتصر إلى أهداف واضحة لمعالجة هذه القضايا وحلها ضمن إطار تلك الخصوصية. بوقرة وهامل (2016). ونوعية هذه الدراسات التي يجريها المختصون في علم الاجتماع هزيلة وفاقة للقيم العلمية المتعارف عليها، ولا تستطيع إستكمال مسارها لغياب التمويل الكافي لاجراء دراسات ذات مصداقية من قبل الدول العربية والمختصين الذين لا يساهمون في مثل هذه الدراسات لغياب الوعي المجتمعي لديهم، وهذا خلافاً للخواص الغربيين الذين يساهمون في تمويل هذه الدراسات. حمزاوي (2017)

- **الفشل في تأسيس منهاج علمي خاص:** يمكن تطبيقه في الدراسات الاجتماعية العربية ويراعي طبيعة الإشكاليات الاجتماعية العربية بخصوصياتها. وعدم التنسيق بين الدراسات الاجتماعية العربية. (رشيق، 2022، 67)

- **الفشل في معالجة القضايا العربية:** كما عجز علم الاجتماع العربي عن إيجاد حلول للمشكلات التي تواجه المجتمعات العربية، بسبب اعتماده المفرط على النظريات الغربية التي لا تتلاءم مع الواقع العربي. ويعود ذلك إلى النزعة الوضعية السائدة التي تُقصي البُعد الديني من دائرة المعرفة، وغياب الوعي الإبيستيمولوجي لدى الباحثين العرب بالأبعاد العقائدية والأيدولوجية للنظريات الغربية، ما يوقع ممارساتهم البحثية في فخ التبسيط والاختزال الحضاري والثقافي. (مهوريداشا، 2018، 141).

3-1-2- المشكلات المنهجية

- **هيمنة المدرسة الأمريكية والنزعة الكمية:** ارتبط علم الاجتماع في عدد من البلدان العربية بالمدرسة الأمريكية، التي أسهمت في تحويل البحث الاجتماعي إلى ممارسة يغلب عليها الطابع الكمي، حيث انصب الاهتمام على جمع البيانات وصياغتها في أرقام وجداول، مع إغفال نسبي للتحليل السوسيولوجي العميق والشامل. وقد ترسخ هذا التوجه بفضل الباحثين الذين تلقوا تعليمهم أو تدريباً في الولايات المتحدة، فانعكست الأساليب الأمريكية على إنتاجهم العلمي. ونتيجة لذلك، أصبحت العديد من البحوث تقتصر إلبالبع التحليلي النوعي والدقة العلمية اللازمة، الأمر الذي أفرغ البحوث من عمقها التحليلي وأفقدها القدرة على تفسير الظواهر الاجتماعية بشكل شامل. (حجازي، 1989، 15).

- **غياب مواهمة الأدوات والمنهج السوسيولوجي مع الواقع العربي:** لا يزال علم الاجتماع في الوطن العربي يحتفظ بطابعه التقليدي، سواء من حيث بنيته النظرية أو أدواته البحثية، التي لا تزال في معظمها مستمدة من

الغرب. فالمنهج، على سبيل المثال، تم استيراده من التجربة الغربية دون تطوير أو موازنة مع واقع المجتمعات العربية، وهو ما يعكس مشكلة أعمق تتعلق بفلسفة المنهج التي يفترض أن تنطلق من خصوصية هذا الواقع. ومن أبرز الأمثلة على ذلك أداة الاستمارة، التي استُخدمت في السياق الغربي لجمع بيانات من أفراد متقنين قادرين على القراءة والإجابة عن الأسئلة، بينما تُوظف في المجتمعات العربية أحياناً لدى فئات أمية لا تجيد القراءة والكتابة. وينطبق الأمر ذاته على العديد من الوسائل البحثية الأخرى التي جرى استخدامها بصورتها الغربية دون تعديل يراعي ظروف المجتمع العربي وخصائصه. (الجيلاني، 2014، 13).

- **أزمة الفهم لدى الطلبة وغياب الوعي المجتمعي بماهية علم الاجتماع وأدواره:** يعاني علم الاجتماع في الوطن العربي من غموض في ماهيته على المستوى المجتمعي، إضافة إلى عجز القائمين عليه عن توضيح طبيعته وأدواره الحقيقية، مما يدفع غالبية الطلبة إلى الالتحاق بأقسامه دون امتلاك تصور واضح عنه. ونتيجة لذلك، يتكون لديهم فهم مشوّه لطبيعة هذا العلم ودوره في المجتمع، إذ لا يلامسون خلال دراستهم القضايا المجتمعية الفعلية، ليجدوا أنفسهم عند التخرج غير قادرين على فهم المجتمع أو التعامل معه استناداً إلى ما تعلموه، وهو ما يسهم في عزوفهم عن مواصلة دراسة هذا التخصص في الجامعات. (الكيسي، 2008، 8)

- **محدودية التكوين اللغوي:** تعاني الأجيال الجديدة من الباحثين في علم الاجتماع من محدودية التكوين اللغوي، حيث يقتصر أغلبهم - في الجزائر مثلاً - على إتقان اللغة العربية فقط، دون إلمام كافٍ باللغات الأجنبية التي تمكنهم من الاطلاع المباشر على الإنتاج السوسيولوجي العالمي. كما أنهم لم يحظوا بتجارب تكوين أو دراسة في البلدان الغربية كما كان الحال مع الجيل السابق، مما جعل معرفتهم بالنظريات السوسيولوجية تأتي غالباً عبر الترجمات العربية، خاصة تلك التي أنجزها رواد علم الاجتماع في مصر، في ظل انعدام مراجع محلية متخصصة في الجزائر. (مهورباشا، 2018، 133)

- **ضعف التكوين الأكاديمي لدارسي علم الاجتماع:** تشير التجربة الأكاديمية الجامعية إلى أن علم الاجتماع يواجه إشكالية أساسية تتمثل في ضعف تكوين الدارسين له، نتيجة الاعتماد المفرط على مزيج غير متجانس من المواد العلمية، الأمر الذي يجعلهم يجدون صعوبة في فهم نظرياته ومناهجه. ويُضاف إلى ذلك افتقار الطلبة إلى التدريب المهني المرتبط بسوق العمل، مما يحد من قدرتهم على توظيف ما تعلموه في الممارسة العملية. (بن سعدة، 2017، 49)

- **ضعف جودة الدراسات وغياب التمويل الكافي:** تتسم معظم الدراسات التي يجريها المختصون في علم الاجتماع في الوطن العربي بالضعف وفقدانها للقيم العلمية المتعارف عليها، كما أنها غالباً ما تتعثر ولا تستكمل مسارها بسبب غياب التمويل الكافي لإجراء أبحاث ذات مصداقية. ويعود ذلك إلى محدودية مساهمة الدول العربية في دعم هذه الدراسات، إلى جانب ضعف وعي المختصين بأهمية المشاركة فيها، بخلاف ما هو قائم في الدول الغربية حيث يسهم القطاع الخاص بفاعلية في تمويل هذا النوع من الأبحاث. (حمزاوي، 2017، 95)

وفي ظل هذه الإشكالات برز اتجاه لدى بعض الباحثين يحمل علم الاجتماع مسؤولية الإخفاقات التي يعكسها واقع المجتمعات العربية، بما فيها التخلف والتشتت، مرجعين ذلك إلى تبعيته للنظريات الغربية وقد طرح هؤلاء ضرورة إنتاج علم اجتماع عربي من منظور إسلامي، انطلاقاً من أن هذا العلم يسعى إلى صياغة نظرية شاملة لتفسير المجتمع، وأن الإسلام بدوره يقدم رؤية وتصوراً متكاملين للحياة والمجتمع. بناءً على ذلك، عملوا على إعادة صياغة مفاهيم علم الاجتماع في إطار ما سُمّي بـ "علم الاجتماع الإسلامي"، الأمر الذي أسفر عن تأسيس مراكز ومعاهد متخصصة، مثل "معهد إسلام المعرفة" الذي أنشئ عام 1990 بجامعة الجزيرة في

السودان، و"مركز نماء للدراسات والبحوث"، و"مركز التأصيل للأبحاث والدراسات" غير أن هذه الجهود أفرزت ممارسات اجتماعية إسلامية لم تتجج في ملامسة هموم الإنسان العربي وقضاياها بصورة عملية، مما يدل على أن علم الاجتماع في الوطن العربي لا يزال أسير المنظور الغربي، حتى مع نشوء مراكز بحثية عربية، ورغم التحرر الاقتصادي والاجتماعي من الاستعمار. فالمشهد الثقافي والعلمي ما زال مثقلًا بالرواسب الفكرية التي خلفها الاستعمار، والتي يواصل ترسيخها عبر التأثير على منظومات التعليم وتوجيهها بما يخدم أهدافه. ومن ثم يصبح من الضروري السعي إلى التحرر من الهيمنة الفكرية الغربية، وبناء علم اجتماع عربي مستقل، ونظريات عربية نابعة من اهتمامات وقضايا ومشكلات المجتمع العربي، بعيدًا عن الإملاءات الغربية، بما يضمن تحقيق الاستقلال الثقافي والنهوض المعرفي استنادًا إلى قدرات وأفكار هذا المجتمع العربي. (مهرياشا، 2018، 143).

4-الخلاصة: صفوة القول إن إشكاليات تمكين علم الاجتماع في البلدان العربية متعددة ومتداخلة، ولا يسعنا في هذا المقام تحليلها جميعًا. لكن يبقى من الضروري الإقرار بأهمية هذا العلم الذي يشكل فكرًا وفلسفة ونقدًا اجتماعيًا. وفي ظل الواقع العربي الراهن، نتطلع إلى أن يتحسن واقع علم الاجتماع وأن يحظى بالاعتراف والدعم من الجهات المسؤولة، ليؤدي دوره الفعلي في الجامعات وفي المجتمع، ويساهم في معالجة قضايا الأمة العربية. كما نأمل أن يطور الباحثون العرب نظرية عربية خالصة تتبثق من خصوصيات مجتمعاتنا، بعيدًا عن التبعية الفكرية والإيديولوجية للنظريات الغربية، وأن تقوم الدراسات السوسيولوجية على منهج علمي رصين يلبي حاجات مجتمعاتنا الثقافية والاجتماعية. وإن تفعيل دور علم الاجتماع على هذا النحو سيمثل استجابة حقيقية لواقعنا، ويعكس خصوصيتنا الثقافية والاجتماعية.

وبناء على ذلك نقدم التوصيات:

- ضرورة الاهتمام بالقضايا العربية بين الماضي والحاضر، لإنقاذ المجتمع العربي من التدهور والتبعية.
- العمل على توحيد فروع علم الاجتماع بما يساعد على فهم مختلف الظواهر في المجتمعات العربية.
- العمل على توحيد فروع علم الاجتماع بما يساعد على فهم مختلف الظواهر في المجتمعات العربية.
- تطوير مفاهيم تحليلية عربية أصيلة لفهم الواقع الاجتماعي.
- إنهاء حالة الاغتراب التي يعيشها علم الاجتماع العربي عن واقعه المحلي.
- تبني مناهج علمية ملائمة لدراسة المشكلات الاجتماعية العربية وفهمها بعمق.
- السعي إلى بناء نظرية سوسيولوجية عربية مفسرة لواقعنا العربي، مستقلة عن النظريات الغربية.
- بناء علم اجتماع عربي نقدي قادر على معالجة مشكلات المجتمع العربي. وتطوير الأساليب البحثية والمنهجية لتقديم حلول فعالية للمشكلات الاجتماعية.
- تعزيز التنسيق بين الجامعات والمراكز البحثية العربية لتبادل الخبرات والنتائج العلمية.
- إقامة مراكز بحث كبرى مشتركة بين دول الوطن العربي، وتشجيع الدراسات الميدانية التطبيقية التي تعالج مشكلات الواقع العربي بشكل علمي وعملي.

- **الإحالات والمراجع:**

إبراهيم، سعد الدين وآخرون. (2010). علم الاجتماع وقضايا الإنسان العربي - علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة- (ط1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- باقادر، أبو بكر أحمد. وعرابي، عبد القادر. (2006). _إفاق علم اجتماع عربي معاصر. (ط1). بيروت: دار الفكر المعاصر.
- بدوي، أحمد موسى. (2011). الأبعاد الاجتماعية لإنتاج وإكتساب المعرفة: حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية. (ط1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بن سعدة، أمال وغريب، حسين. (2017). العلوم الاجتماعية في الوطن العربي بين أسناتيكية التنظير وديناميكية الواقع. مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية. 05(02). 38 - 50.
- بوقرة، كمال وهامل، عبد المالك. (2016). علم الاجتماع في الوطن العربي النشأة والدور. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية. (16). 228-238.
- التركي، ثريا. (2012). التكوين العلمي في العلوم الاجتماعية، حالة دول الخليج العربي. مجلة المستقبل العربي. 35 (400). 154 - 167.
- الجيلاني، حسان. (2014). قضايا إجتماعية معاصرة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- حجازي، محمد عزت. (2010). نحو علم اجتماع عربي (علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة). (ط3). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حمداش، عمار. (1990). وضعية البحث السوسولوجي في الوطن العربي. مجلة المستقبل العربي. 12 (134). 62 - 80.
- حمزوي، سهى وكواشي، سامية. (2017). إشكالات علم الاجتماع في الوطن العربي قراءة تحليلية لاعترافات بعض علماء الاجتماع العرب. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. (28). 91-100.
- حنفي، ساري ومجاهدي، مصطفى. (2014). مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي. (ط1). بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.
- خضر، أحمد إبراهيم. (2008). علماء الاجتماع (علم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع). (ط1). لندن: منشورات المنتدى الإسلامي.
- الذهبي، إبراهيم. (2022). واقع علم الاجتماع في الوطن العربي بين أزمة التبعية.. وإفاق الاستقلالية. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية. 10(01). 419 - 429.
- رشيق، حسين. (2022). أولويات البحث السوسولوجي في العالم العربي (تحليل، مواقف ومقترحات). (د.ط.). قطر: مركز إبن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- سعفان، حسن شحاتة. (1978). أسس علم الاجتماع. (ط10). القاهرة: دار النهضة العربية.
- شابي. أمينة. (2021). علم الاجتماع في الوطن العربي الهوية، المعوقات والطابوهات الاجتماعية. مجلة التكامل في بحوث العلوم الاجتماعية والرياضية. 05 (01). 76-90.
- عبد المدني، خليل عبد الله. (2007). علم الاجتماع في الوطن العربي: الواقع والطموح. (د.ط.). السودان: مركز التنوير المعرفي.
- عبد المعطي، عبد الباسط. (1998). اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. (ط1). الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
- عرابي، عبد القادر عبد الله والهمالي، حسين عبد الرحمن. (1990). إشكالية علم الاجتماع وإستخدامه في الجامعات العربية. مجلة المستقبل العربي. 13(141). 23-40.
- عزت، عبد العزيز (1949). علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية. (ط1). القاهرة: دار النهضة العربية.

- العياشي، عنصر. (2003). نحو علم إجتماع نقدي، دراسات نظرية وتطبيقية. (ط1). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الكبيسي، عامر. (2008). البحث العلمي في الوطن العربي إشكاليات واليات المواجهة. (د.ط). الأردن: المكتب الجامعي الحديث.
- الكنز، علي. (1990). الإسلام والهوية، الدين في المجتمع العربي. (د.ط)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ماهورياشا، عبد الحليم. (2018). علم الاجتماع في العالم العربي من النقد إلى التأسيس نحو علم العمران الإسلامي. (ط1). الجزائر: المعهد العالي للفكر الإسلامي.
- محمود، سالم عبد العزيز. (1998). دراسات سوسيولوجية وأنثروبولوجية في الريف المصري. (ط1). مصر: دار المعارف.
- معتوق، جمال. (1998). واقع وافاق علم الاجتماع في المغرب العربي - دراسة ميدانية بالجزائر، تونس، والمغرب. رسالة دكتوراه دولة في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر: الجزائر.